نص الحوار
الذي شرفه فضيلة الإمام

كلمة لا بد منها:

منذ ما يزيد عن تسعة عشر عاماً كان لقائي بفضيلة الأستاذ الشيخ إمام الدعاة محمد متولي الشعراوي... وتشرفت بالجلوس إليه، حيث دار الحديث بيننا حول ثلاثة أسئلة في أمور الدين والدنيا.

حاولت تسجيل الحديث عن طريق جهاز للتسجيل الذي أحمله معي إلا أن الجهاز تعطل فجأة فأملى عليّ فضيلته إجابة الأسئلة الثلاثة.. فكتبتها بدقة بلا زيادة أو نقصان.. واستغرق هذا الحديث الممتع أكثر من ساعتين.. وحملت أوراقي بعد انتهاء الحديث.. وحدث ما لم أكن أتوقعه وهو اختفاء أوراق الحديث في خضم أوراقي وكتبي المبعثرة هنا وهناك وعبثاً حاولت البحث عنه.. دون جدوى.. ولكن حدث منذ عدة أشهر مضت أن شاء القدر أن أعثر على تلك الأوراق مصادفة أثناء قيامي بترتيب كتبي وأوراقي.. فقررت أن أجعل تلك الأوراق بين يديك عزيزي القارئ.. نفعنا الله بعلم أستاذنا الفاضل رحمه الله.

نبيل السمالوطي

القاهرة في ١ مارس ٢٠٠٣

obeikandl.com

إتباع..... وابتداع....

كان يوم الإثنين الموافق الثاني من مايو عام ١٩٨٣ هو موعد لقائي بأستاذنا فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.. في شقته.. التي تقع أمام المسجد الحسيني ـ بالقاهرة ـ .. وكان سؤالي الأول لفضيلته يدور حول معنى حديث رسول الله ﷺ «اتبعوا.. ولا تبتدعوا.. فقد كفيتم» وهل معنى ذلك رفض كل جديد مستحدث؟

قال فضيلته: من الذي قال إن هذا الحديث يدل على رفض كل جديد مستحدث..؟ الجديد في ماذا؟؟.. والحديث في ماذا!!؟

قلت: ـ هناك مخترعات حديثة.. وهناك تطور وتغيير في أمور الحياة..

قال فضيلته: يقول الحديث.. «اتبعوا» في أي شيء؟

قلت: في المنهج كما أمر الله

قال فضيلته: الاتباع في الذي يختلف فيه البشر باختلاف أهوائهم.. لا في المسائل التي جعلها الله نتيجة لطموح العقل.. في المادة نفسها.. لأن العمل المادي... لا تختلف فيه الأهواء.. ونحن قلنا تلك المسألة ألف مرة.. (يا ناس لا توجد كهرباء أمريكاني، أو كهرباء روسي، لا توجد كمياء إنجليزي وكيمياء ألمانية، لأن كل أمر يخضع للتجربة المعملية المادية.. لا تختلف فيه الأهواء.

أما التشريع، فهو يأتي ليعصم الناس من اختلاف الأهواء، في الأمور التي يكون لك فيها هوى... ولي فيها هوى... العلم المادي لا هوى فيه لأحد، لأنه خاضع للتجربة فيما يعطيه المعمل على التجربة هو القضية الكونية.. كل نتيجة بعد ذلك تأخذها تستعملها في أي شيء؟؟؟ السكينة مثلاً الموجودة لم تطرأ على الإسلام.. الإسلام جاء والسكين موجودة...!! أيقال: إن السكينة حرام أم حلال..؟

لا يقال في الآلة حرام أو حلال، إنما يقال: تستعمل في أي شيء؟؟

قلت: تستعمل في الأعمال الدنيوية..

قال فضيلته: ـ من أعمال الدنيا أيضاً أن واحداً من الممكن أن يذهب فيقتل بها شخصاً.. نقول له: لا.. إن المخترعات والاكتشافات والماديات الشارع يطالب

بها.. ليظهر أسرار الله في كون الله، وهذه لا تختلف فيها الأهواء أبداً.. لكن النظريات التي تخالف فيها الأهواء.. التشريع الإلهي قال: أنا سأعصمكم من هذه الاختلافات لأن هذا سيقول رأياً، وهذا سيقول رأياً آخر، أنا أردكم إلى هوى واحد حتى لا تختلفوا فيه، إذن: رحم الله عقولنا أن تعمل بغير طائل وقال: وفروها.. لتستنبطوا أسرار الكون لتسعدكم، ولكن الذي ستستنبطونه ويسعدكم انظروا في أي شيء تستعملونه، التليفزيون مثلاً.. هبة حضارية جاءت من نشاطات عقلية في ظواهر الكون.

فأنا لا أقول: لا تبتدعوا لأنه لم يكن موجوداً في عهد رسول الله ﷺ، إنما في أي شيء سنستعمله؟ هذا أمر مادي نتيجة لطموحات البشر.. أنا أستعمله فيما أمر الله، إذن: عندما يقول النبي ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا».. أي: في الأمور التي أراد الله أن يعصمكم من الاختلاف فيها، لأنه ليس هناك رأي أولى من رأي، فلماذا يخضع أي منا لرأي الآخر؟ ولذلك العالم بين موجتين الآن (موجة نظريات)، (وموجة علم تجريبي) العلوم التجريبية، هل مختلفة في المعسكرين أم متفقة؟؟

قلت لفضيلته: متفقة..

قال فضيلته: المسائل النظرية جاءت على طرفي نقيض، هذا يقول: شيوعية، وهذا يقول: رأسمالية. لماذا اختلفوا في هذه، ولم يختلفوا في الأمور العملية التجريبية، وذلك لأنها لا علاقة لها بالهوى، بل هي محكومة (بالمعمل). بل على العكس كل معسكر يحاول أن يتلصص على المعسكر الآخر، ليسرق منه سر الماديات ولكنه يمنع نظرية هذا تذهب للمعسكر الثاني، فما معنى هذا؟

Obeikan.com

إختلاف.... وإيقاف

إن التشريع الإلهي من الذي خلقنا، أراد أن يعصمنا من اختلاف أهوائنا فقال: المسائل الغير محكومة بمادة ولا تجربة. أي: نظريات وأهواء أنا أتحملها عنكم، أما الأمور التي سينتهي بحثكم إلى الاتفاق فيها فأنتم أحرار، اطمحوا، وابتكروا، واعملوا الأشياء التي تريدونها، ولكن حاولوا أن لا تستعملوها ضد المنهج الذي يخالف منهج الله في الأهواء مثلاً، فلا تأخذوا ما اتفقتم عليه مثل اختراع (التليفزيون) لتجعلوه وسيلة لعرض ما اختلفتم فيه من الآراء، هذا يعطي للشيوعية وهذا يعطي للوجودية وهذا يعطي للرأسمالية، لا تأخذوا ما اتفقتم فيه لإرغام الناس على ما اختلفتم عليه.

إذن عندما يقول النبي ﷺ: «**اتبعوا ولا تبتدعوا**» يعني لا تأتوا بشيء من عندكم، أي: فيما يعصمكم من اختلاف الأهواء يعني إن اتبعتم فقد توحدتم فستتبعون كلكم رأياً واحداً، وحين يبقى مفيش لا ذلة لك، ولا ذلة لي، لكن في الأمور الأخرى فاجتهدوا ما شئتم ولكن ما وصلتم له من أسرار الله، لا تستعملوه في محاربة منهج الله.

انتهى الحوار على أن نكمله في كتاب آخر عن الفن ووسائل الإعلام، وكان هذا ختام الحوار وإجابة السؤال الثالث، ويسرنا أن نعلق على هذا الحوار على النحو التالي:

لماذا كان الأستاذ نبيل السمالوطي حريصاً على الحديث مع فضيلة الإمام حول هذا الموضوع؟

أعتقد أن الفكر بين الباحثين عن الحق والمجتهدين في العلم واحد، فأنا أعطي العلماء حقهم وقدرتهم ودورهم في محاربة البدع، فإن البدع قبل أن يفتح العلماء أفواههم لدفعها بالحجج، كانت كنار الجحيم تتأجج، وعمّ ضلالها الأقاليم، وما أحد قال فيها: هذا عذاب أليم، بل بعض يحبّذ ويحسّن، وبعض يقول: هذا أمر هيّن، حتى كثر شرّها وظهر ضررها، فقام العلماء الذين هم ورثة الأنبياء حقاً فتداركوا الأمر فأطفأوا بنور العلم نارها، وأزالوا بسيف الحجة عن الأمة عارها، وحاربوها في عقر دارها، واقتلعوها من أسّ جدارها، فذهب أهلها يعثرون في

أثواب الخجل، ويلوكون ألسنة العجز والفشل، وشعارهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وطالما عدّ الناس هذه البدع سنناً، وحسبوا نقمتها عليهم منًا، إلى أن عمّ الفساد سائر البلاد، وتوصلوا بذلك إلى ما حرم الله، وصار كل يتبع ما يهواه، ووقعوا في حيرة بعدما عميت منهم البصيرة، ولا ملجأ من الله إلا إليه، ثم أنقذهم بهذه الطائفة التي أخبر بها صاحب الحوض والشفاعة بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**».

وبقوله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»، وقد جاءكم وفد العلماء، فكونوا لوعظهم سامعين، واسألوهم عن أمر الدين، فالسؤال شفاء من داء الجهل، وقد رزقكم الله بنعمة عظيمة، ألا وهي العقل، لتسألوا عن الدين حتى لا يغرّنكم إبليس اللعين، فقد قال خير من علّمه ربه وعلّم: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، «**وإنما العلم بالتعلم**»، وإن العلم لا يذهب إلا بذهاب العلماء، وبقاء جهال الرؤساء، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلوا**»، فشمّروا أيها المؤمنون عن ساعد الجد، تفوزوا مع الفائزين، وامتثلوا أمر ربكم، وانتهوا عما نهاكم عنه تكونوا من المتقين، في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ومن الواضح أن الأستاذ نبيل على علم واضح بأن أفضل من يستمع له الناس هو فضيلة الإمام في عصر كثرت فيه البدع والمواسم المحدثة، لأن الله قد استرعانا جماعتكم، وأوجب لنا طاعتكم، وحذّرنا إضاعتكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، سيّما فيما أمر الله به ورسوله، أو هو محرّمٌ بالكتاب والسُّنّة النبوية، وإجماع الأمة المحمدية، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

ولهذا نرثي لغفلتكم أو عدم إحساسكم، ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم، فألقوا لأمر الله آذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم، وطهّروا من دنس البدع إيمانكم، وأخلصوا لله إسراركم وإعلانكم، واعلموا أن الله بفضله أوضح لكم طرقَ السُّنّة لتسلُكوها، وصرّح بذمّ اللّهو والشهوات لتملِكوها، وكلّفكم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه، واعرِفوا فضلَه عليكم وعُوه.

اتركوا عنكم بدعَ المواسم التي أنتم بها متلبِّسون، والبدعَ التي يزيِّنها أهلُ الأهواء ويلبِّسون، وافترقوا أوزاعًا، وانتزعوا الأديان والأموالَ انتزاعًا، بما هو حرامٌ كتابًا وسُنة وإجماعًا، وتسمَّوْا فُقرًا، وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سقرًا، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا • الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وكل ذلك بدعةٌ شنيعة، وفعلةٌ فظيعة، وسبّة وضيعةٌ، وسُنةٌ مخالفة لأحكام الشريعة، وتلبيسٌ وضلال، وتدليس شيطاني وخبال، زيّنه الشيطان لأوليائه فوقّتوا له أوقاتًا، وأنفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهمَ وأقواتًا، وتصدّى له أهل البدع من عيساوة وجلالة، وغيرِهم من ذوي البدع والضلالة، والحماقة والجهالة، وصاروا يترقّبون لِلَهوِهِمْ الساعات، وتتزاحم على حبال الشيطان وعِصيِّه منهم الجماعات، وكلُّ ذلك حرامٌ ممنوع، والإنفاق فيه إنفاق في غير مشروع.

فأنشدكم الله عباد الله، هل فعل رسولُ الله ﷺ لعمّه سيد الشهداء موسماً؟! وهل فعل سيدُ هذه الأمة أبو بكر لسيد الإرسال ﷺ موسمًا؟! وهل تصدّى لذلك أحدٌ من التابعين رضي الله عنهم أجمعين؟! ثم أنشدكم الله، هل زُخرِفت على عهد رسول الله المساجد؟! أم زُوِّقت أضرحةُ الصحابة والتابعين الأماجد؟!

كأني بكم تقولون في نحو هذه المواسم **المذكورة وزخرفةِ** أضرحة الصالحين وغير ذلك من أنواع الابتداع: «**حسبنا الاقتداء والاتباع، إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون**»، وهذه المقالة **قالها الجاحدون، هيهات هيهات** لما توعدون، وقد ردَّ الله مقالتهم، ووبخهم **وما أقالهم، فالعاقل** من اقتدى بآبائه المهتدين، وأهل الصلاح والدين، «**خير القرون قرني . . .**» الحديث.

وبالضرورة، إنه لن يأتيَ آخرُ هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أوّلُها، فقد قُبض رسولُ الله ﷺ وعقدُ الدين قد سُجِّل، ووعد الله بإكماله قد عُجِّل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة رضي الله عنهم: (أيها الناس، قد سُنّت لكم السنن، وفُرِضت الفرائض، وتُرِكتم على الجادة، فلا تميلوا بالناس يميناً ولا شمالاً)، فليس في دين الله ولا فيما شرع نبيُّ الله أن يُتقرّب بغناء ولا شطح.

والذكرُ الذي أمر الله به، وحثّ عليه ومدح الذاكرين به، هو على الوجه الذي كان يفعله ﷺ . ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد، فهذه

سنة السلف، وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يُستَمَعْ، ومن سلك غيرَ سبيلِهم فلا يُتَّبعْ، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فما لكم ـ يا عباد الله ـ ولهذه البدع؟! أأمِنْتَا من مكر الله؟! أم تلبيسًا على عباد الله؟! أم منابذةً لمن النواصي بيديه؟ أم غرورًا لمن الرجوع بَعدُ إليه؟ فتوبوا واعتبروا، وغيِّروا المناكرَ واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترَفين مَن دونهم، وعاقب الجمهورَ لمَّا غضُّوا عن المنكر عيونَهم، وساءت بالغفلة عن الله عُقبى الجميع؛ ما بين العاصي والمداهن والمطيع.

أفيُزِلُّكم الشيطان وكتاب الله بين أيديكُم؟! أم كيف يضلُّكم وسنةُ نبيِّكم تناديكُم؟ فتوبوا إلى رب الأرباب، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

ومن أراد منكم التقرّبَ بصدقةٍ، أو وُفْقٍ لمعروفٍ أو إطعام أو نفقةٍ، فعلى من ذكرَ اللهُ في كتابه، ووعدكم فيهم بجزيل ثوابه، كذوي الضرورة غير الخافيَة، والمرضى الذين لستم بأولى منهم بالعافيَة، ففي مثل هذا تُسَدُّ الذرائع، وفيه تُمتثَلُ أوامرُ الشرائع، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولا يُتقرَّب إلى مالك النواصي بالبدع والمعاصي، بل بما يَتقرَّب به الأولياء والصالحون، والأتقياء المفلحون: أكل الحلال، وقيام الليال، ومجاهدةُ النفس في حفظ الأحوال بالأقوال والأفعال؛ البطن وما حوى، والرأس وما وعى، وآياتٌ تُتلَى، وسلوكُ الطريقةِ المثلى، وحجٌّ وجهادٌ، ورعاية السُّنَّة في المواسم والأعياد، ونصيحةٌ تُهدَى، وأمانةٌ تؤدَّى، وخلقٌ على خلق القرآن يُحدَى، وصلاةٌ وصيام، واجتنابُ مواقع الآثام، وبيعُ النفس والمال من الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وليس الصراط المستقيم كثرة الرايات، والاجتماع للبيات، وحضور النساء والأحداث، وتغيير الأحكام الشرعية بالبدع والإحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ [فاطر: ٨].

عن المقداد بن معديكرب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُجاء بالرجل يوم القيامة، وبين يديه راية يحملها، وأناسٌ يتبعونها، فيُسأل عنهم، ويُسألون عنه**»، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

فيجب على مَن ولّاه الله من أمر المسلمين شيئًا من السلطان والخلائف أن يمنعوا هذه الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، أو يعينهم على باطلهم. فإياكم ثم إياكم والبدع، فإنها تترك مراسمَ الدين خاليةً خاوية، والسكوتُ عن المناكر يحيل رياضَ الشرائع ذابلةً ذاوية.

فمن المنقول عن الملل، والمشهورِ في الأواخر والأول، أنَّ المناكر والبدعَ إذا فشت في قوم أحاط بهم سوءُ كسبِهم، وأظلم ما بينهم وبين ربِّهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم المثُلات، وشحّت السماء، وحلّت النقماء، وغِيضَ الماء، واستولت الأعداء، وانتشر الداء، وجفّت الضروع، ونقعت بركةُ الزروع؛ لأن سوءَ الأدب مع الله يفتح أبوابَ الشدائد، ويسدّ طرقَ الفوائد.

والأدبُ مع الله ثلاثةٌ: حفظُ الحرمة بالاستسلام والاتباع، ورعايةُ السُّنّة من غير إخلال ولا ابتداع، ومراعاتها في الضيق والاتساع، لا ما يفعله هؤلاء الفقراء، فكلُّ ذلك كذبٌ على الله وافتراء، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، كأنَّ هذه موعظةُ مودِّع فما تعهَد إلينا؟ أو قال: أوصنا، فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة لمن وُلّي عليكم وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعِش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وها نحن ـ عبادَ الله ـ أرشدناكم وحذّرناكم، فمن ذهب بعدُ لهذه المواسم أو أحدَثَ بدعةً في شريعة نبيِّه أبي القاسم، فقد سعى في هلاك نفسِه، وجرّ الوبال عليه وعلى أبناء جنسِه، وتلّه الشيطان للجبين، وخسِر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وإذا تبادر إلى أذهاننا سؤالاً: لماذا كان الحديث عن البدعة والحرص على الاتباع؟

نجد الجواب يحكي به القلب قبل اللسان لعظم حق النبي ﷺ بيان حقوق النبي المصطفى ﷺ وحقوقه على أمته كثيرة.

أعظمها وأجلّها اتباع سنته والعمل بها ونصرتها والذبّ عنها وإحياؤها إن كانت قد أُميتت، وكم من سنة نبوية نسيها الناس أو جهلوها، ولعظم أهمية هذا المقام فإنا نزيده بإذن الله تعالى بياناً وإيضاحاً تثبيتاً لمن كان على السُّنّة النبوية وموعظة له، وتذكرة ونصحاً لمن كان على البدعة وتحذيراً له من مغبة ما هو عليه، فنقول قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال محمد بن علي الترمذي الحكيم: الأسوة في الرسول الاقتداء به، واتباع سنته وترك مخالفته في قول أو فعل. وقال النبي ﷺ: «**من استن بسنتي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني**»، رواه عبد الرزاق وبعض هذا الحديث في الصحيحين وهو قوله ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

إن اتباع السُّنّة من أعظم حقوق المصطفى ﷺ ولذلك قال الله تعالى في كتابه العظيم مخاطباً نبيه ومصطفاه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. لم يقل: فأحبوني مع أن الاتباع يتضمن المحبة إذ لا فائدة من اتباع بلا محبة، كما أنه لا تقبل المحبة دون اتباع.

ولكن السر في هذا التعبير القرآني البديع هو تنبيه السامعين إلى قوة التلازم بين الاثنين، بين محبة النبي المصطفى ﷺ وبين اتباع سنته، فتفقد نفسك يا مسلم.

على كل مسلم محب للنبي المصطفى ﷺ أن يتفقد نفسه، وأن يعرف موقفه من منهج رسول الله ﷺ، وأن يعرف موقفه من سنة رسول الله ﷺ، فإن كان على منهج المصطفى متمسكاً بسنته وهديه، فليحمد الله عز وجل وليثبت، فإنه على سبيل النجاة التي لا سبيل غيرها يوصل إلى الله والتي يسلم سالكوها من النار، وهي الطريق الوحيدة الموصلة إلى الجنة، إنها طريق الفرقة الناجية التي على رأسها سيدنا محمد ﷺ هادياً وقائداً ورائداً، لم يكذب أهله ﷺ ومعه أصحابه الكرام الأئمة الأعلام الذين جاهدوا بين يدي رسول الله ﷺ أحسن الجهاد، وأبلوا أحسن البلاء، ونصر الله بهم الدين وأعز بهم الملة، ثم من بعده ﷺ نقلوا للأمة سنته وهديه وشريعته، فجزاهم الله عن أمة محمد ﷺ خير الجزاء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي علي ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**الذي أنا عليه الآن وأصحابي**».

Obeikandl.com

تفقد نفسك يا مسلم، مَنْ أنت من هذه الفرقة الواحدة الناجية، اسأل نفسك يا مسلم، أنت على منهج رسول الله ﷺ ومنهج أصحابه الكرام، إذن فأنت من أصحاب هذه الفرقة الواحدة الناجية التي لا ينجو غيرها أبداً، وانتبه لنفسك يا محب رسول الله ﷺ، اسأل نفسك هل أنت على سنته؟ هل أنت متمسك بهديه؟ هل سنته وهديه مقدمان عندك على هواك؟ فإن دعوى المحبة وحدها لن تنفعك إذا لم تقرنها بالاتباع، أعظم الناس محبة لسيدنا رسول الله ﷺ هم أصحابه الكرام ولذلك فهم أشد الناس اتباعاً له، أشد الناس تمسكاً بهديه وبسنته ﷺ لا يقدمون على ذلك أي شيء، يمتثلون أمره ﷺ، لا يردهم ولا يمنعهم من ذلك أي شيء، يمتثلون أمره، سواء فهموا الحكمة والعلة أم لم يعرفوها.

سأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجد في القرآن صلاة الخوف وصلاة الحضر، ولا نجد صلاة السفر. فقال له ابن عمر: يا ابن أخي إن الله قد بعث محمداً ﷺ إلينا ولا نعلم شيئاً، وإنما نفعل كما رأيناه يفعل.

نعم، هذا هو الامتثال، يفعلون كما رأوا رسول الله ﷺ يفعل يقتدون بهديه ويتمسكون بسُنّته، ينفذون أمره، ينزجرون عن نهيه، سواء عرفوا الحكمة والعلة من ذلك أم لم يعرفوا، وهذا المعنى أوضح في قول عمر الفاروق رضي الله عنه وهو يخاطب الحجر الأسود حينما قال: [إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبلتك] ثم قبّله الفاروق رضي الله عنه، معنى كلامه إنني لا أعلم السر في تقبيلك ولا الحكمة ولا العلة من تقبيلك، الذي أعلمه أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولكنني مع ذلك أمتثل لأمر رسول الله ﷺ، وأتمسك بسنته وهديه فأقبلك؛ لأنني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك. والنبي المصطفى ﷺ هو نفسه إنما قبّل الحجر الأسود لأن الله تبارك وتعالى أمره بذلك فامتثل أمر ربه، ونحن نقبله اتباعاً لسنة المصطفى ﷺ، وإلا فإنه حجر لن يخرج في حقيقة كنهه عن ذلك، ليس السر في الحجر، وإنما السر في الامتثال، السر في الاتباع، اتباع سنة المصطفى ﷺ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وأفضل ما تفعله يا محب رسول الله ﷺ أن تحيي سُنّته، تطبقها على نفسك وعلى أهل بيتك، وتذكر بها الناس إن كانوا قد هجروها أو جهلوها، تنشرها بينهم بكل ما تستطيع من وسائل، قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**مَنْ سن سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن سن**

سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»، صدق النبي المصطفى ﷺ.

ومعنى من سن في الإسلام سُنة حسنة أي: من أحيا سنته ﷺ بين الناس فاقتدى الناس به في ذلك، فله إلى جوار أجره مثل أجور العاملين بتلك السُّنَّة اقتداءً به لما ذكرهم بها ونشرها فيما بينهم، أما من ابتدع بدعة في الدين، وهي التي سماها النبي ﷺ سنة سيئة أي بدعة في الدين، فإن عليه إلى جانب وزره وإثمه إثم كل من عمل بتلك البدعة إلى يوم القيامة، واقتداءً بذلك المبتدع.

فيا محب رسول الله ﷺ، ما أحوجك إلى ذلك الأجر العظيم! وما أغناك عن هذا الوزر الثقيل أولى لك ذلك الأجر العظيم، عن عمر بن عوف المزني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: **«من أحيا سنة من سنتي أميتت من بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة فإن عليه من الآثام مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»**.

فإحياء سُنة من سنن المصطفى ﷺ لك إلى جانب أجرك العظيم مثل أجور من عمل بها، أليس هذا أولى بك يا محب رسول الله ﷺ مما وقع فيه كثير من الناس من البدع باسم محبة النبي المصطفى ﷺ يقولون: إنها بدع حسنة لا بأس بها فإن فيها تذكيراً للناس بسيرة المصطفى ﷺ فنقول: لا يوجد في الدين شيء اسمه بدعة حسنة أو بدعة مقبولة، كل البدع مردودة في الدين.

من زعم أن هناك بدعة في الدين حسنة، فقد نسي قول المصطفى ﷺ: **«كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»** يقول ﷺ: **«كل»** وكل: يعرف العرب أنها من صيغ العموم، فشملت كل محدثة، لا يخرج من ذلك أي بدعة، فكل البدع في الدين ضلالات، وكل الضلالات مآلها إلى النار.

فانتبه لنفسك يا محب رسول الله ﷺ، واعلم أن عملاً ولو كان قليلاً توافق به سنة المصطفى ﷺ خير لك وأفضل لك عند الله، وأعظم بركة عليك من عمل كثير تنفق عليه الأموال وتبذل فيه الجهود وتنصب وتتعب وتكد وتسعى وهو في بدعة لأن العمل الأول الذي توافق به السُّنَّة لك عليه الأجر العظيم والعمل الآخر الذي تقع به في البدعة عليك فيه وزر ثقيل، كما أخبر النبي المصطفى ﷺ، وهكذا كان يقول أصحاب النبي ﷺ.

روى الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الاقتصاد في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة. وهكذا كان يقول التابعون لهم بإحسان. قال الحسن البصري رحمه الله: عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة.

ثم يا محب رسول الله ﷺ، انتبه لهذه الأصول واحفظها، فإنك إن حفظتها ونفذتها وعملت بها فأنت على المنهج، أنت على سبيل النجاة وطريقة الفرقة الناجية، قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: أصول مذهبنا ثلاثة، أولاً: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأعمال، ثانياً: الأكل من الحلال، ثالثاً: إخلاص النية في الأقوال والأفعال. هذه أصول الشريعة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، فتمسك بها يا محب رسول الله ﷺ.

يا ابن أدم، أحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه، وكن كما شئت، فكما تدين تدان ثم صلّوا على خاتم النبيين وإمام المرسلين، فقد أمركم الله بذلك في كتابه المبين، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقال ﷺ: «**من صلى علي واحدة صلّى الله بها عليه عشراً**».

أقول: لو كان المسلمون متبعون لله ورسوله ﷺ، لكان الاتباع في النفس كالقدوة في كل شيء، الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالح هم القدوة في الدين[1]، فالرسول ﷺ هو القدوة في الدين، ثم أصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لأن الله تعالى زكاهم ؛ ولأن الرسول ﷺ رباهم، وتوفي وهو عنهم راض، وهم حملة الدين علماً وعملاً، فقد نقلوا لنا القرآن وسنة النبي ﷺ، وعملوا بمقتضاهما ولم تظهر فيهم الأهواء والبدع والمحدثات في الدين.

فإن الحق والهدى يدوران معهم حيث داروا، ولم يجمعوا إلا على حق، بخلاف غيرهم من الطوائف والمنتسبين للأشخاص والشعارات والفرق، فإنهم قد يجتمعون على الضلالة.

ثم السلف الصالح من: التابعين وتابعيهم، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، هم القدوة بعد الصحابة ؛ لأنهم كانوا على منهاج النبوة وسبيل الصحابة لم يغيروا ولم يبدلوا.

وعلى هذا المنهج سار أئمة الدين، وأهل السُّنَّة إلى يومنا، وإلى أن تقوم الساعة، ملتزمون بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومقتفون لأثر النبي ﷺ. والسلف الصالح ـ والحمد لله ـ، وسبيل هؤلاء (السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة الدين)، هو سبيل المؤمنين الذي توعد الله من يتبع غيره، وجعل اتباع غيره مشاقَّة للرسول ﷺ ومن موجبات النار، نسأل الله العافية، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص (٨٧).

ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وبذلك يتقرر أن سبّ الصحابة والسلف الصالح والطعن فيهم، طعن في الدين الذي جاء به النبي ﷺ. كما أنه خيانة للأمة وعامة المسلمين ؛ لأنه طعن في خيارها وقدوتها ؛ ولذلك عمد أهل الأهواء والبدع والافتراق إلى الطعن في الصحابة والتابعين والسلف الصالح أو بعضهم كما سيأتي بيانه.

obeikandl.com

مصادر الدين هي:
الكتاب والسُّنَّة (الوحي فحسب)[١]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السُّنَّة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسُّنَّة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»[٢].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ، وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين، لأن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٣] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن مصادر تلقي العقيدة الحق، هي الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فهم السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها، لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأنقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسُّنَّة، ولذلك كان هو

---

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص (٨٨)، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص (١٣، ١٤).

(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).

(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

obeikandl.com

الأعلم والأسلم و الأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السُّنَّة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي ؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلا تدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ. قال الزهري: (مِنَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم)[1].

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السُّنَّة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ. وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السُّنَّة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح ج (١٣)، ص (٥٠٨).

(٢) رواه ابن عبد البرفي جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) (٢/ ١٠٧١) وقال المحقق: إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ ـ ١٦٠) ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء، فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة، وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرهم، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ. وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلفة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

openkandil.com

سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السُّنَّة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السُّنَّة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صحَّ من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسُّنَّة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسُّنَّة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

obeikandl.com

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة، وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل، فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية. لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبين، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسُّنَّة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانبونهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٧ ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة والشريعة، وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع، ثم يُحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ ـ ويعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ ـ ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

obeikandl.com

منهج السلف يقوم على السُنَّة والاتباع ومنهج مخالفيهم يقوم على الابتداع

في الآونة الأخيرة برزت ظاهرة (سبّ السلف) وسبّ خيار الأمة أهل السُنّة والجماعة، وتداعت إلى هذا الظلم طوائف وفئات متعددة من الحداثيين، والعلمانيين والعقلانيين (العصرانيين) المعتزلة الجدد، ومن أخلاف الموتورين من بقايا الفرق القديمة (كالخوارج، والشيعة والطرق الصوفية الباطنية. . . . ونحوهم).

وقد شايعهم البعض من المنافقين والجاهلين وعشاق الشهرة، وأهل الأهواء ونحوهم، وصار هؤلاء وأولئك يثيرون الشكوك والإشكالات حول الصحابة وأئمة السلف، وأهل السُنّة والجماعة، ويلقون بالشبهات حول منهجهم وتراثهم، ويلتقطون الأخطاء والزلات، ويوهمون الجاهلين بأنها هي أصول ومناهج للسلف، ويطلقون الألقاب الشنيعة، والأوصاف الرديئة غير اللائقة على السلف وأتباعهم قديماً وحديثاً، على نحو ما كان أسلافهم المنافقون يفعلون تجاه رسول الله ﷺ وأصحابه من اللمز والسخرية كقولهم: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء.)[1] وقالوا بمقالات أخرى خبيثة، فأنزل الله فيهم قرآناً يتلى، وهو قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ • أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ • يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ • وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ • لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦١ ـ ٦٦].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن كثير في تفسير هذه الآيات.

وهؤلاء من المنافقين المعاصرين ساروا على نهج أسلافهم حذو القُذة بالقذة، والمنافقون ـ قديماً وحديثاً ـ حينما يسبون الصالحين من المؤمنين ويلمزونهم قد يتعلقون ببعض ما قد يحصل من بعضهم من الشبهات والزلات فيلبّسون بها على الناس.

فقد يقع من بعض الصالحين من المؤمنين كذب، أو خطأ أو زلة أو هوى أو ظلم أو تجاوز، فيطير بها المنافقون وينسبونها للمؤمنين عموماً، وعلى نحو هذا ما يفعله بعض المفتونين المعاصرين في تصيدهم للأخطاء التي قد تقع من أفراد أهل السُّنَّة والسلف الصالح، وليست هي الأصل فيهم، بل العكس لو تأملتها وجدتها هي الأصل عند خصومهم أهل الأهواء والافتراق والبدع، ومناهج السلف على خلافها بحمد الله.

ولذلك، رأيت أنه من المفيد أن أعقد موازنة بين منهج السلف وبين مناهج أهل الأهواء يتبين من خلالها أن الأصل في مناهج السلف الحق والصواب، وأن الأخطاء والمخالفات التي تخرج عن ذلك ؛ فهي زلات ليست محسوبة على المنهج، وكذلك العكس وهو: أن الأصل في مناهج أهل الأهواء: الابتداع والضلال والباطل، وأن الصواب والحق والسُّنَّة استثناء.

وقد آثرت في هذه الموازنة الإيجاز والاكتفاء بالأصول العامة والمناهج دون التفاصيل، مع العلم أن بعض المسائل الواردة في هذه الموازنة، ورد الحديث عنها من خلال هذا المؤلف وغيره، وإليك بيان ذلك:

أولاً: عرفنا أن أصول السلف أهل السُّنَّة تقوم على صحة مصادر التلقي وهي (القرآن والسُّنَّة)، وعلى سلامة منهج الاستدلال والتقرير على نحو ما ذكرته في مبحث سابق من هذا الكتاب.

* أما أهل البدع والأهواء فإن مناهجهم في التلقي والاستدلال وتقرير العقيدة مختلفة ومخالفة في ذلك كله، وبيان ذلك:

١ ـ أهل الأهواء لا يكتفون بالاعتماد على الكتاب والسُّنَّة، وقد لا يعول كثير منهم عليهما، في حين أنهم يعتمدون على مصادر أخرى كلٌّ حسب مشربه، ثم هم يردون النصوص التي تخالف أصولهم المبتدعة، أما السلف ـ أهل السُّنَّة ـ فإن أصولهم تقوم على الكتاب والسُّنَّة أصلاً، ولذلك هم يسلمون لنصوص الشرع الثابتة، ولا يعولون على غير الوحي في الدين.

٢ ـ غالب أهل الأهواء تصورهم عن النبوة منحرف، وكذلك اعتقادهم في الوحي وكلام الله، فإن الكثيرين منهم يتوهمون، أن الوحي نتاج بشري أو صادر من مخلوق، لا أنه كلام الله ووحيه لرسله.

٣ ـ كثيرون من أهل الأهواء والبدع يزعمون أو يظنون أن النصوص الشرعية لا تفي بكل أمور الدين، أما السلف فيعتقدون جازمين بكمال الدين ووفائه بكل متطلبات البشر في الدين والدنيا.

٤ ـ من سمات أهل الأهواء تركهم للسُّنَّة والآثار إذا لم توافق هواهم، وزعمهم الاكتفاء بالقرآن، أما أهل السُّنَّة فيعتمدون على الكتاب والسُّنَّة والآثار الصحيحة، ولذا صاروا هم أهل السُّنَّة على الحقيقة. أهل الأهواء لا يتورعون عن الطعن في خبر الآحاد وإن ثبت سنده، وبذلك يردون الكثير من الدين، أما أهل السُّنَّة ـ السلف الصالح ـ فهم يقبلون كل ما صحَّ عن رسوله ﷺ وإن كان آحاداً.

٥ ـ أهل الأهواء يدَّعُون أن نصوص الصفات والغيبيات ونحوها من المتشابه، وكثيرون منهم يزعمون أن مناهجهم وقواعدهم العقلية هي المحكمة، وما يعارضها من الأدلة الشرعية هو المتشابه، وقد قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

أما أهل السُّنَّة فيؤمنون بأن كل نصوص الصفات والعقيدة والغيبيات من المحكم، وأنه حق على مراد الله تعالى، وإنما التشابه يكون في فهوم الناس وعقولهم القاصرة، وخوضهم في الكيفيات التي لا يعلمها إلا الله سبحانه.

٦ ـ كثيرون من أهل الأهواء يزعمون أن الأدلة الشرعية ظنية، وأن معقولاتهم وأوهامهم قطعية، ولذلك نجدهم كثيراً ما يستعملون الأقيسة العقلية في صفات الله والقدر والغيبيات الأخرى، وسائر أصول العقيدة، أما السلف فيؤمنون بأن الأدلة قطعية، وإن خفيت دلالات بعضها وتأويلاتها على العقول، فإن ذلك راجع إلى قصور العقول.

٧ ـ غالب أهل الأهواء والبدع يعتمدون على التأويل والتعطيل والمجاز في صفات الله تعالى وسائر العقيدة، أما السلف فيمنعون التأويل والمجاز في الصفات والعقيدة ؛ لأنه رجم بالغيب، وقول على الله بغير علم، واستسلام للأوهام والظنون.

٨ ـ أكثر أهل الأهواء يعتمدون في كثير من المسائل على الكذب والوضع وما لا أصل له في الدين، أما السلف فلا يعتمدون في الدين إلا على الصحيح، ويردون الأحاديث المكذوبة والموضوعة، وهم أهل الشأن في ذلك كما بينت.

٩ ـ أكثر أهل الأهواء والبدع يعظمون طريق الفلاسفة في تقرير الدين، والحكم على الغيبيات، وطريقة الفلاسفة تقوم على تجهيل الأنبياء، ومعارضة ما جاؤوا به من الحق والهدى وعلى التخرصات، والخيالات والأوهام، ومحارات العقول، كما قال الله عنهم وأمثالهم: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذريات: ١٠، ١١].

١٠ ـ ولذا نجدهم (أعني: أهل الأهواء) يعتمدون في تقرير العقيدة على الأصول الفاسدة، وقد يذكرون الدليل الشرعي للاعتضاد لا للاعتماد، أما السلف فإنما يقررون الدين بالأدلة الشرعية وقواعد الشرع، ويوردون الأدلة الشرعية الثابتة للاعتماد لا للاعتضاد، وقد يوردون الدليل الضعيف للاعتضاد لا للاعتماد.

١١ ـ أهل الأهواء والبدع يستدركون على الشرع، ولذلك يلزمهم في طريقتهم في تقرير الدين ـ بالتأويلات والعقليات والمحدثات ـ أن رسول ﷺ عدل عن بيان الحق للناس ليجتهدوا في التأويل، والإحداث في الدين، أما أهل السُّنَّة ـ السلف الصالح ـ فيعتقدون أن: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(١)].

١٢ ـ أهل الأهواء والبدع من منهجهم في الاستدلال وضع الدليل في غير ما يدل عليه، أما أهل السُّنَّة فيراعون قواعد الاستدلال ووضع الأدلة في مواضعها على أصول علمية سليمة.

١٣ ـ كثير من أهل الأهواء والبدع يعلنون كراهيتهم لنصوص الصفات والتوحيد، ويطعنون في أسانيدها ورواتها من الأئمة وفي متونها، على غير قاعدة شرعية؛ ولذلك قد يسمون أصولهم الباطلة أصول الدين والتوحيد، وهذا بخلاف مذهب السلف الذي يقوم على التسليم والرضى واليقين.

١٤ ـ ومن أصول أهل الأهواء في الاستدلال: قياس الغائب على الشاهد، إذ يقيسون صفات الله تعالى والأمور الغيبية على المخلوقات والأمور الحسية المشاهدة، وقد سلمت عقائد السلف ومناهجهم من هذه التوهمات والأقيسة المنافية للإيمان بالغيب.

١٥ ـ من أصول أهل الأهواء عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد، وجهلهم بذلك ويقدر هذا المنهج العلمي الأصيل في حفظ الدين. أما السلف فهم أهل هذه الصنعة التي حفظ الله بها السُّنَّة.

١٦ ـ وكذلك من سمات أهل الأهواء أحياناً جهلهم باللغة، أو تجاهلهم وعدم

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله الحديث رقم (٨٦٧) وأخرجه النسائي برقم (١٥٧٧) واللفظ له.

اعتبارها إلا فيما يخدم أهواءهم وبدعهم، أما أهل السُّنَّة فيعنون بعلوم اللغة ويعتمدونها في تفسير النصوص على المنهج الشرعي السليم.

ثانياً: من أصول أهل السُّنَّة والجماعة تحقيق التوحيد وصفاؤه وسلامة المنهج في تقريره، ومن أصول الأهواء والبدع، انحرافهم في مفهوم التوحيد وتقريره، ومن ذلك:

١ ـ أن حقيقة التوحيد عندهم تنتهي بالتعطيل، أي إنكار أسماء الله وصفاته وأفعاله أو بعضها.

٢ ـ وأن تعريف التوحيد عند أهل الأهواء ينتهي بالإقرار بالربوبية، وليس لهم اهتمام بتوحيد العباد الذي هو الغاية من إرسال الرسل.

٣ ـ ووقوعهم في تقرير التوحيد فيما نهى الله عنه من التخرصات والأوهام، والخوض في المتشابهات، والمراء والجدال فيما ليس لهم به علم، والخوض بالغيب والقول على الله بغير علم.

٤ ـ وكذلك تباينت مفاهيمهم وتعددت مناهجهم في تقرير التوحيد وإثباته.

ثالثاً: أصول أهل السُّنَّة والجماعة تقوم على العلم وقواعد الدين المستمدة من الوحي المعصوم، القرآن وما صحَّ عن رسول الله ﷺ. أما أهل الأهواء والافتراق والبدع، فإن أصولهم تقوم على الجهل بنصوص الدين وقواعده، ومن ذلك:

١ ـ جهلهم بما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف وعدم رسوخهم في العلم.

٢ ـ وقد نتج عن جهلهم، سوء الأدب مع الله تعالى، والخوض في أسمائه وصفاته بغير علم.

٣ ـ وكذلك، تجهيلهم للسلف، وزعمهم أن طريقة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف.

٤ ـ وحصرهم الحق في أنفسهم وتجاهلهم لأهل السُّنَّة والسلف الصالح، فلا يعرفون لهم فضلهم وقدرهم، بل بالعكس.

٥ ـ ومن جهلهم أنهم قد ينسبون أقوالهم للسلف فيما يناقض مذهب السلف أصلاً، كالتفويض والتأويل والإرجاء والجبر والتكفير والنصب.. ونحو ذلك.

رابعاً: منهج أهل السُّنَّة يقوم على الحق البيّن، والمنهاج الشرعي الواضح، والصراط المستقيم المستمد من الوحي المعصوم، أما مناهج كثير من أهل الأهواء فإنما تقوم على التلبيس، ومن ذلك:

١ ـ دعواهم أنهم هم أهل الحق والتوحيد والعدل والاستقامة والسُّنَّة.

٢ ـ ومن التلبيس والجهل لدى أهل الأهواء: جعلهم السُّنَّة بدعة والبدعة سنة.

obeikandl.com

٣ ـ ومن تلبيسهم إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع.
٤ ـ ومن تلبيسهم قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ.
٥ ـ ومن تلبيسات أهل الأهواء استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة لتفادي مصادمة النصوص (ظاهراً) ؛ لأن ذلك أدعى لرواج مذاهبهم الباطلة.
٦ ـ ومن التلبيس زعمهم أن مذهب السلف في إثبات الصفات (تشبيهٌ) ووصفهم للسلف بأنهم (مكفِّرة وسبَّابة وجبرية ونواصب) وأنواع أخرى من الأوصاف والألقاب الشائنة تلبيساً وتمويهاً، وقد أشرت إلى هذا في أكثر من موضع في هذا البحث.

خامساً: كما يتسم منهج السلف بالاتفاق والإحكام والثبات واليقين، تتسم مناهج أهل الأهواء بالتناقض والاضطراب والتلوّن والحيرة، ومن ذلك:

١ ـ تناقض أهل الأهواء والافتراق واضطرابهم في جميع الأصول والمناهج والمسائل والاستدلال والتقرير، ومن تناقضهم خلطهم بين السنن وبين المحدثات والبدع، والجمع بين المتناقضات في الاعتقادات. بخلاف ما كان عليه السلف أهل السُّنَّة ـ بحمد الله ـ من الاتفاق ووحدة الأصول والمنهج، ولذلك ليس عند أهل الأهواء قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر.
٢ ـ أصولهم وقواعدهم التي يعوّلون عليها يختلفون فيها ويناقضونها.
٣ ـ ولذلك يلاحظ أن من سمات أهل الأهواء التنقل بين المذاهب، والتحول في الآراء، وعدم الاستقرار على رأي.
٤ ـ وكذلك من سمات أهل الأهواء كثرة وقوعهم في الحيرة والشك والاضطراب في تقرير مقالاتهم الفاسدة.
٥ ـ ومن ذلك ما نجده من الاضطراب والتناقض في مواقفهم من الدين ومن السلف.
٦ ـ وكذلك إعلان إفلاس كثير منهم في العقيدة، واعترافهم بذلك في نهاية الأمر.
٧ ـ الانحرافات والضلالات عند أهل الأهواء أنواع شتى (ولكل منهم وجهة) ولذلك نجد كلاً منهم يقول عن الآخر إنه ليس على شيء، لكنهم قد يجتمعون على عداء السُّنَّة وأهلها، وقد سلم السلف ومنهجهم من هذا الاضطراب ـ بحمد الله ـ لأنهم على صراط الله المستقيم.

سادساً: من سمات أهل السُّنَّة الولاء للمؤمنين وحب الصالحين، وتعظيم قدر الصحابة والعلماء أئمة الدين، ومن سمات أهل الأهواء الغِلُّ على أهل السُّنَّة، وسبّ السلف ولمزهم، ومن ذلك:

١ ـ طعنهم في أصحاب رسول الله ﷺ أو بعضهم ولمزهم للسلف (أهل الحديث والسُّنَّة) وتعييرهم وسبهم وبغضهم (أو بعضهم) ومن ذلك تسميتهم أهل السُّنَّة (حنابلة) أو (وهابية) ونحو ذلك.

٢ ـ جفاؤهم للحديث والإسناد وأهله غالباً.

٣ ـ كذبهم وتقوُّلهم على الأئمة العلماء.

سابعاً: يتسم كثير من أهل الأهواء بمواقفهم العدائية مع المخالفين، ومن ذلك:

١ ـ مواقفهم مع المخالفين إجمالاً تتسم بالغرور والتعالي، والاستهانة بالرأي المخالف وصاحبه، والتضييق ظلماً وعدواناً، والإلزام بالباطل بغير بينات، ولذلك نجد غالبهم يتنكرون للسُّنَّة ويضيقون على أهلها.

٢ ـ يبتدعون البدعة ويكفّرون مخالفها، أو على النقيض من ذلك، فبعضهم لا يفرق بين السُّنَّة والبدعة، ولا بين الإيمان والكفر. أما أهل السُّنَّة فهم ـ بحمد الله ـ أهل إنصاف وتواضع وإشفاق ورحمة، ولا يكفّرون المخالف لمجرد كونه مخالفاً إلا بدليل.

ثامناً: من أصول أهل الأهواء والافتراق: الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم، واستحلال السيف، وهذا منهج غالب فيهم، ومن سماتهم العامة، أنهم لا يرون للسلطان طاعة، ولا يأخذون بوصية النبي ﷺ بالصبر على الظلم والجور والأثرة من الوالي المسلم، ولذلك كان بعض السلف يسمي كل أهل الأهواء (خوارج).

تاسعاً: من سمات أهل الأهواء: الإصرار على بدعهم (إلا النادر) فلا يهتدون إلى الحق والسُّنَّة ولا يوفّقون للتوبة؛ وذلك بسبب إصرارهم على البدع، والله أعلم، فهم ممن قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

عاشراً: من سمات أهل الأهواء: كثرة الكلام فيما لا يعنيهم، وما ليس من اختصاصهم، لا سيما في أمور الدين والعقيدة، والإكثار من حشو الكلاميات ومن الكتب والمصنفات والردود؛ ولذلك اتسمت كتبهم ومصنفاتهم وأعمالهم بقلة البركة وقلة الفائدة.

حادي عشر: من سمات أهل الأهواء: حرصهم على نشر البدعة، وقوة تأثيرهم فيمن يخالطهم، ولذلك تكثر استمالتهم للعامة والغوغاء والدهماء، وأصحاب المطامع وعشاق الشهرة، وقد تستجيب لهم هذه الفئات بسرعة عند الفتن، وعند غربة السُّنَّة وأهلها.

ثاني عشر: من سمات أهل الأهواء: التعالم والغرور، فمن تعالمهم: زعمهم أنهم أعرف من العلماء الراسخين في الدين، أو مثلهم، وأنهم جديرون بالقول والحكم والاجتهاد مع قلة علمهم وجهلهم بالنصوص وقواعد الاستدلال وأصول الاجتهاد، بل إن غالبهم في الحقيقة من أصحاب الجهل المركب، ومن غرورهم وخذلانهم ظنهم أنهم ينصرون الإسلام بمناهجهم الضالة ومقالاتهم المبتدعة.

ثالث عشر: من سمات أهل الأهواء: وقوعهم بين الغلو والتقصير، فكلُّ أهل الأهواء خارجون عن منهج الاعتدال، فمنهم فرق اتسمت بالغلو والتنطع، كالخوارج والشيعة وبعض المعتزلة، وأخرى اتسمت بالتقصير، كالمرجئة والجهمية، وثالثة جمعت بين الغلو والتقصير كالصوفية وأكثر المعتزلة.

رابع عشر: ومن سمات أهل الأهواء كذلك:

١ ـ استحواذ الشياطين والجن على طوائف منهم.

٢ ـ الجرأة على الله ورسوله وعلى الدين وعلى عباد الله الصالحين. ومن هنا نجد أصولهم كلها مخترعة مبتدعة ليس لهم فيها قدوة من أعلام الهدى الأئمة الأعلام؛ ولذا وقعوا في تقرير قواعد فاسدة والقول بلوازمها.

٣ ـ القعود عن الجهاد وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعضهم يعبر عن الجهاد بأنه (قسوة وعنف)، والنهي عن المنكر بأنه (حَجْرٌ وتقييد للحريات).

٤ ـ يكتبون ما لهم ويعلنونه ويكتمون ما عليهم ويتجاهلونه.

٥ ـ التكلف والتعمق واتباع الصعاب والمحارات والمعضلات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٦ ـ اعتقادهم ما تتوهمه عقولهم، فإن أصولهم واعتقاداتهم ناتجة عن التوهمات والخيالات والتخرصات، فهم على منهج الذين قال الله فيهم: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذريات: ١٠، ١١].

٧ ـ تستهويهم العقليات والفلسفات، ويزينها لهم الشيطان، وقد نتج عن تعويلهم على ذلك زعمهم أن العقيدة (عقيدة السلف) مما لا يقل، وتوهم المعارضة بين العقل والشرع.

٨ ـ ومن أبرز سمات أهل الأهواء والبدع: مضاهاتهم للشرع، وتدرجهم في مناهج الباطل، واتسامهم بالذلة والصغار.

٩ ـ المتأمل لحال أهل البدع والأهواء يجد أنه ليس في أئمتهم من تجمع الأمة على أنه إمام هدى، لكنهم قد ينتحلون بعض أئمة الدين تلبيساً.

١٠ ـ شؤمهم على الأمة وإسهامهم في نكباتهم وفرقتها وهوانها وتسلط أعدائها.

الخلاصة:

إن مناهج أهل السُّنَّة والسلف الصالح تقوم على السُّنَّة والجماعة والاتباع كما أمر الله ورسوله ﷺ. ومناهج أهل الأهواء تقوم على البدع والفرقة والابتداع واتباع السُّبُل.

ثم رأيت في الوريقات التي قدمها لي الناشر للتحقيق والإعداد والتعليق عنوان في وسط الصفحة يقول فيه (اختلاف.... واتفاق)

فرزقني الله هذا التعليق البسيط:

السُّنَّة تجمع المسلمين، والبدع والأهواء تفرقهم

السُّنَّة والاستقامة تعني الجماعة والعزة والتمكين وعكسها البدعة والإعراض عن شرع الله، فإن ذلك يعني بالضرورة (بالنسبة للمسلمين): الفرقة والذلة والهزيمة (والنكسات والنكبات).

ولكن أهل الأهواء والمنافقين ـ قديماً وحديثاً ـ عكسوا القاعدة ـ كعادتهم ـ، فزعموا أن التزام السُّنَّة ومحاربة البدع، والإنكار على أهل البدع والأهواء سببٌ رئيسي (في النكسات التي أصابت الأمة)، وهذا من التلبيس والجهل فإن العكس هو الصحيح، فإن المتأمل لأحوال المسلمين قديماً وحديثاً يجد أن من أعظم سمات أهل الأهواء والبدع والافتراق شؤمهم على المسلمين في كل زمان وحيثما كانوا.

ويكفيك أن تنتقل بذهنك إلى أحداث التاريخ المشهورة، والتي ألحقت بالمسلمين الذلة والفرقة والتشتت تجدها من أهل الأهواء، وأمثلة ذلك:

أول فتنة فرقت الأمة فتنة السبئية، وقد أدت إلى قتل خليفة المسلمين الراشد عثمان رضي الله عنه ثم تمخضت عن افتراق الخوارج والشيعة، عن جماعة المسلمين وإمامهم.

ولما ظهرت القدرية والمعتزلة والجهمية أفسدت عقائد طوائف من الأمة، وأوقعتها في الأهواء والفرقة والخصومات والمراء في الدين والفتنة في العقائد.

ولما تمكنت المعتزلة من الدولة ألزمت الأمة بالقول بالكفر (خَلْق القرآن) وامتحنت العلماء وعرضتهم للسيف والسجن والإهانة، والقول بخلاف الحق.

ولما تمكنت دويلات الرافضة والباطنية كالبويهية والعبيدية والقرامطة، قمعت السُّنَّة وأهل الحديث، وأظهرت البدع والإلحاد والزندقة والكفر وتسلط أوباش الباطنية على رقاب المسلمين، واعتدوا على المقدسات وقتلوا الحُجاج وأخذوا

الحجر الأسود، وعاثوا في الأرض فساداً، وأباحوا المحرمات، ومكّنوا للنصارى من دخول ديار المسلمين.

ولما تمكن بعض الرافضة من الوزارة في آخر عهد الدولة العباسية والدويلات التي تلتها خانوا الأمة، وأدخلوا التتار والنصارى ديار المسلمين ومكنوهم فيها.

ولما تمكنت الطرق الصوفية وأهل البدع من الدولة العثمانية في آخر عهدها ضعفت الأمة وذلّت وعلقت أقدارها بغير الله، وتعلقت بالأضرحة والبدع والغلو في الشيوخ وتقليدهم بلا بصيرة، فأصابها الذل والتشتت، وسلط الله عليها الأعداء فمزقوها وفرقوا شملها.

ولا تزال الفرق والطرق الصوفية ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهن الأمة وانحطاطها، ناهيك عن هيمنة الرافضة والباطنية وأهل الأهواء والبدع والعلمنة والإلحاد والإعراض عن دين الله وشرعه.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بعض الآثار السلبية من جراء تأثير أهل الأهواء وتمكينهم. من ذلك:

شؤم الجعد بن درهم على دولة بني أمية ومروان بن محمد. قال: «وقد قيل: إن أول من عرف أنه أظهر في الإسلام التعطيل الذي تضمنه قول فرعون، هو الجعد بن درهم فضحّى به خالد بن عبد الله القسري، وقال: أيها الناس ضحوا تقبّل الله ضحاياكم، إني مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه، وشكر له علماء المسلمين ما فعله، كالحسن البصري وغيره.

وهذا الجعد إليه ينسب مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمه عاد عليه حتى زالت الدولة، فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل، وانتصر لهم»[1].

وعن أثر الباطنية في إظهار الزندقة والرفض والإلحاد وشيوع البدع والطرق.

قال: «ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم، وهو حقيقة قول فرعون (إنكار الصانع وإنكار عبادته) وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض، فكان خيارهم وأقربهم إلى الإسلام الرافضة، وظهر بسببهم الرفض والإلحاد، حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغلية ونحوهم متشيعين؛ وكذلك من كان من بني بويه في المشرق»[2].

(١) الفتاوى (١٣/ ١٧٧).
(٢) الفتاوى (١٣/ ١١٧).

أثر ابن سينا وأهل بيته (الباطنية الإسماعيلية) وشؤمهم على الدولة العباسية:

قال: «وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال: وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة، وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر، ولم يكن بلغ بعد، وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية؛ ولهذا سمي حينئذ بأمير المؤمنين الأموي الذي كان بالأندلس، وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم، ويقول: لا يكون للمسلمين خليفتان، فلما ولي المقتدر قال: هذا صبي لا تصح ولايته فسمي بهذا الاسم»[١].

وقال: «وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم، ولكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين، وكان نسبهم باطلاً كدينهم؛ بخلاف الأموي والعباسي، فإن لكليهما نسب صحيح، وهم مسلمون كأمثالهم من خلفاء المسلمين»[٢].

ولما ظهرت البدع والنفاق والفجور سلط الله على المسلمين أعداءهم:

قال: «فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول ﷺ سلطت عليهم الأعداء، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة؛ إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة»[٣].

قال: «فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبباً لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة»[٤].

وقال: «فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع سلط عليهم الكفار، ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار»؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ • تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ • يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ • وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

---

(١) المرجع السابق (١٣/ ١١٧).
(٢) المرجع السابق (١٣/ ١٧٨).
(٣) المرجع السابق (١٣/ ١٧٨).
(٤) المرجع السابق (١٣/ ١٧٩).

obeikandl.com

وكذلك لما كان أهل المشرق قائمين بالإسلام مظهرين للسُّنَّة كانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم، فلما ظهر منهم ما ظهر من البدع والأهواء والفرقة والإلحاد والفجور سلط عليهم الكفار، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا • فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا • ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا • إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا • عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[1] [الاسراء: ٤ ـ ٨].

وهكذا نجد ظهور البدع والزندقة والإلحاد على أيدي أهل البدع والأهواء والفرق سبب لدخول التتار بلاد المسلمين.

قال شيخ الإسلام:

«وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع، حتى إنه صنف الرازي كتاباً في عبادة الكواكب والأصنام وعمل السحر، سماه (السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم) ويقال: إنه صنفه لأم السلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه، وكان من أعظم ملوك الأرض، وكان للرازي به اتصال قوي، حتى إنه وصى إليه على أولاده، وصنف له كتاباً سماه (الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية)»[2].

ثم ذكر شيخ الإسلام أثر الجهمية والمعتزلة في فتنة القول بخلق القرآن وامتحان العلماء:

قال: «ثم لما ولي الخلافة (يعني المأمون) اجتمع بكثير من هؤلاء ـ يعني الجهمية والمعتزلة ـ . . ودعا إلى قولهم في آخر عمره، وكتب ـ وهو بالثغر بطرسوس التي ببلد سيس ـ إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب كتاباً يدعو الناس فيه إلى أن يقولوا: القرآن مخلوق، فلم يجبه أحد، ثم كتب كتاباً ثانياً يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وإرساله إليه فأجاب أكثرهم، ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا، فأجاب منهم خمسة بعد القيد، وبقي اثنان لم يجيبا: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح؛ فأرسلوهما إليه فمات قبل أن يصلا إليه، ثم أوصى إليه أخوه أبو إسحاق، وكان هذا سنة ثماني عشرة ومائتين، وبقي أحمد في الحبس إلى سنة

(١) الفتاوى (١٣/ ١٧٩/ ١٨٠).
(٢) المرجع السابق (١٣/ ١٨٠).

عشرين فجرى ما جرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة، ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه.

وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه وإلا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات، ولم يقبلوا شهادته، وكانوا إذا افتكّوا الأسرى يمتحنون الأسير، فإن أجابهم افتدوه وإلا لم يفتدوه.

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي دؤاد على ستارة الكعبة: ﴿ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم﴾ لم يكتب ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

ثم ولي الواثق واشتد الأمر إلى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السُّنَّة»[١].

قلت: لو كان شيخ الإسلام حيًا لرأى مصداق قوله في واقع المسلمين في كثير من بلاد المسلمين في الوقت الراهن تحت هيمنة أهل الأهواء والبدع العلمانية، والأقليات الباطنية، والرافضية، والصوفية، والمقابرية، والله المستعان.

بينما البلاد التي تسود فيها السُّنَّة لا تزال ـ بحمد الله ـ قوية عزيزة وشعائر الدين فيها ظاهرة، والسُّنَّة منصورة كما هو الحال في المملكة العربية السعودية، ولذلك ضاق أهلُ الأهواء ذرعاً بذلك، وبالمقابل نجد أنه كلما عاد المسلمون أو بعضهم إلى السُّنَّة أعزهم الله ومكنهم ورفع عنهم الذلة والهوان، كما حصل في عهد صلاح الدين حينما نصر السُّنَّة وطهر الأرض من رجس الرافضة العبيدية (الفاطمية) وغيرهم من دويلات أهل البدع التي فرقت المسلمين، ثم لما قامت الدولة العثمانية في أول عهدها على نصرِ السُّنَّة ـ نسبياً ـ تمكنت وجمعت شمل المسلمين، إلى أن دبَّ فيها مرض التصوف والبدع فهانت وذلّت، ثم لما قامت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب على نصر السُّنَّة وقمع البدع والمحدثات أعزها الله ومكّنها، واجتمعت كلمة المسلمين في هذه البلاد عليها، وقويت السُّنَّة وأهلها، و انخذلت البدعة وأهلها بحمد الله.

وهذا هو الحق لمن وفقه الله وهداه، وما عداه فهو الباطل الذي سيذهب جفاء بحول الله وقوته، نسأل الله الهداية والتوفيق، ونعوذ بالله من الضلالة والخذلان، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) انظر الفتاوى (١٣/ ١٨٣ ـ ١٨٤).

الأهواء والبدع
ومصنفاتها هي سبب تفرق المسلمين

زعموا أن كتب العقائد هي سبب تفرق المسلمين، وأنها سبب لنكسات المسلمين التاريخية.

وهذا من جانب حق، وهو أن افتراق المسلمين وخروج طوائف منهم عن نهج السُّنَّة والجماعة سبب للفرقة، والفرقة سبب للهزائم والنكسات، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وقد أخبر الله عنه وحذر منه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٦ ـ ٤٨].

وأخبر به رسوله ﷺ وحذر منه[1].

لكن الذم إنما يكون للمفارق، وهم أهل الأهواء والسبل، لا للمتمسك بالحق والسُّنَّة، وهم السلف الصالح أهل السُّنَّة الذين أخذوا بأسباب العزة والنصر والتمكين وهو الاعتصام بحبل الله.

أما كتب العقائد الخارجة عن السُّنَّة وهي كتب أهل الأهواء فهي قد رسخت الفرقة، وأسهمت في حدوث النكسات على الأمة.

بخلاف كتب السلف التي تمثل دين الله الذي يأمر بالجماعة والطاعة والجهاد، وينهى عن الفرقة والخروج والقعود.

فمن الذي شغل الأمة بالكلاميات، والفلسفات والمجادلات، والكلام الفارغ، وحشا المؤلفات بالمغالطات والشبهات والأوهام؟ فالحق إنما احتوت عليه مضامين كتب السلف، وذلك من أسباب العزة والنصر.

والباطل إنما احتوت عليه مضامين كتب أهل الأهواء وذلك من أسباب الذل والهوان.

---

(١) الترمذي (٢٠٩١)، وابن ماجه (٣٩٥٢، ٣٩٨٢)، أحمد(١٢٠٢٢)

الفرق الضالة
امتداد للأمم الهالكة

إن تشبه الفرق الضالة بالأمم الهالكة واتباعها لها هو الحق، فقد ذكر المحققون من أهل السُّنَّة وغيرهم، أن كثيراً من الفرق والأهواء والبدع التي ظهرت بين المسلمين، وخرجت عن السُّنَّة والجماعة، إنما هي امتداد للفرق والديانات الضالة القديمة التي كانت قبل الإسلام وبعده.

وهذه حقيقة قطعية ذكرها الله تعالى، وأخبر عنها الرسول ﷺ. قال الله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩].

فقد ذكر العلماء أن قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ في بيان أن هذه الأمة ستكون منها طوائف تخوض في الشبهات والبدع كما خاض الأولون من قبلهم من ضلّال الأمم[1] وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فالناجون من الاختلاف هم الذين استثناهم الله تعالى، والأكثرون على الفرقة والخلاف، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة[2].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فالله تعالى إنما برأ رسوله ﷺ من أمر لا بدّ حاصل وقد وقع وإلا لكان مما لا فائدة في ذكره... تعالى الله عن ذلك.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير، وابن جرير، والشوكاني عند تفسير هذه الآية، وراجع اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١١٤/ ١١٨).

(٢) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية ١٠٦ آل عمران.

وثبت عن النبي ﷺ أن طوائف من هذه الأمة ستتبع سنن الأمم الضالة السابقة فقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً، وذراعاً ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال «**فمن؟**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**»، فقيل: يا رسول كفارس والروم؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك؟**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل . . .**»[(٣)] الحديث.

كما أن تلقي الفرق الضالة، المفارقة للسُّنة والجماعة عن الأمم والنحل والملل الأخرى حاصل بخبر الصادق المصدوق ﷺ بهذه النصوص القاطعة، كذلك هو معلوم بالاستقراء والتتبع، وبمقارنة العقائد والمقالات، فكثير من أصول الشيعة الرافضة امتداد لمقالات الفرس المجوس.

وأصول القدرية النفاة هي امتداد لمذاهب المجوس وبعض الصابئة وبعض فرق النصارى كذلك.

وأصول الجهمية امتداد لمذاهب الفلاسفة وغيرهم.

والمرجئة امتداد لمذاهب ومقالات كانت لبعض النصارى، والصابئة وبعض الديانات الهندية وغيرها.

والباطنية امتداد للزنادقة والملاحدة والفلاسفة في سائر الأمم الهالكة.

والصوفية امتداد للديانات الهندية ولكثير من الديانات والمذاهب والفرق في الأمم الهالكة.

وهكذا كثير من الفرق، نجد أنها إما أن تكون امتداداً مباشراً للديانات والفرق القائمة في الأمم الهالكة أو تأثرت بها، وهذا أمر مستفيض عند كُتّاب المقالات والباحثين وأصحاب هذه المذاهب نفسها، كيف لا وقد أخبر به النبي ﷺ. لكن أهل الأهواء يكابرون ولا يفقهون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم» برقم (٧٣٢٠) ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن برقم (٢٦٦٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم» برقم (٧٣١٩).

(٣) الترمذي (١/ ٢٦)، والحاكم (١/ ١٢٨، ١٢٩).

Obeikandl.com

وكما ثبت بالنص والواقع المشهود والاستقراء الكامل أن أهل الأهواء والبدع والافتراق امتداد ـ كلياً أو جزئياً ـ للملل والنحل الباطلة، فكذلك ثبت بالنصوص القاطعة والواقع الملموس المشهود، والاستقراء الكامل: أنه كما أخبر النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «**لا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من عاداهم إلى قيام الساعة**»، وهم السلف الصالح أهل السُّنَّة والجماعة. كما وصفهم النبي ﷺ.

obeikandl.com

الاحتساب على البدع
وأهلها واجب شرعي وليس ظلماً

درج أهل الأهواء والبدع والافتراق على تسمية احتساب السلف الصالح على أهل الأهواء والبدع والافتراق والتحذير من بدعهم وحماية عقيدة الأمة منها ظلماً وعدواناً وحجراً وكتماً للحريات، وإرهاباً للمخالف، واستعداء عليه.

وكان من أبرز هذه المزاعم: دعوى أن السلف الصالح أهل السُّنَّة ظلموا الفرق[١]، وأنهم بإنكارهم للبدع والمحدثات يفرقون المسلمين، وقد جهل هؤلاء ـ أو تجاهلوا ـ أنه قد ثبت في النصوص القاطعة أن هذه الأمة ـ كسائر الأمم السابقة ـ ستفترق، وأنه ستبقى طائفة واحدة من ثلاث وسبعين على الحق. كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وقال ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**»[٢].

وحذر النبي ﷺ من البدع والمحدثات والأهواء والافتراق، وأخبر عن دعاة السبل وحذر منهم، ومن دعاة الضلالة، وأمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، ونهى عن التفرق فقال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأمر ﷺ بالجماعة والسُّنَّة، ونهى عن الفرقة والبدعة، وقد استجاب السلف الصالح ـ الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان ـ لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وصدقوا خبره وأخذوا بوصيته، وقاموا بواجب النصيحة في نشر السُّنَّة والنهي عن البدع والتحذير منها وحماية الأمة غوائلها واستجابوا لأمر النبي ﷺ بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[٣].

فإن البدع أعظم المنكرات بعد الشرك، وجهود السلف في هذا الصدد مشهورة، ومن ذلك:

ـ لما حدثت الردة بعد موت رسول الله ﷺ قيّض الله لها أبا بكر رضي الله

---

(١) انظر مقدمات في الأهواء، للمؤلف (١٢٨ ـ ١٣٣).

(٢) أخرجاه في الصحيحين، وسبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم رقم (٤٩).

obeikandl.com

عنه فوقف وقفته الحازمة المشهورة التي كسر الله بها موجة الردة، وأعز الله بها الدين، وأيده على ذلك الصحابة بإجماع وناصروه.

ـ ولما ظهرت بعض بذور البدع في عهد عمر رضي الله عنه: كالكلام في القدر، والاحتجاج على المعاصي ومتشابه الآيات، فأقام عمر معوجها بدرته المشهورة فأدب صُبيغاً لخوضه في الآيات المتشابهات[١]، وأدب الأمة كلها عندما هدد النصراني القدري ـ بطريريك الشام ـ حينما زعم أن الله لا يضل من يشاء، كما أدب عمر ـ رضي الله عنه ـ الأمة كلها كذلك بقطع شجرة الحديبية لقطع دابر البدع[٢]، ونهى الذين كانوا يرتادون مواطن محددة للتعبد عندها مما لم يرد به الشرع[٣].

ونهر كعب الأحبار، وقال له: «لقد ضاهيت اليهودية»، حينما أشار كعب أن يصلي عمر إلى الصخرة في بيت المقدس[٤].

ـ وأدب عليٌّ رضي الله عنه الشيعة الغلاة، وحرَّقهم في النار حينما علم أنهم يغلون فيه ويقدسونه[٥]، وأمر بجلد المفترية من الشيعة الذين فضلوه على أبي بكر وعمر[٦].

ـ ولما ظهرت الخوارج قيّض الله لها سائر الصحابة وعلى رأسهم عليّ رضي الله عنه وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فأقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم المحجة حتى رجع منهم من كان يريد الحق، وأصمّ أهل الأهواء على بدعتهم. فقاتلهم الصحابة احتساباً وامتثالاً لأمر رسول الله ﷺ وقمعاً لبدعهم، وحذروا منهم ومن مجالستهم.

ـ ولما ظهرت القدرية في النصف الثاني من القرن الأول تصدى لها متأخرو الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنهم ـ، وكان من أشدهم على القدرية ابن عمر، الذي حذر منها وأنذر، وكشف عوارها، وحذر من معبد الجهني رأس القدرية وأصحابه، ونهى عن مجالستهم ومخالطتهم والتلقي عنهم، وكذلك ابن عباس.

وكذلك لما أعلن غيلان الدمشقي بدعة القول بالقدر تصدى لها التابعون وعلى رأسهم مجاهد، والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وريحانة الشام الأوزاعي،

---

(١) انظر سنن الدرامي (١/ ٥٥ ـ ٥٦)، الشريعة للآجري (٧٣).
(٢) انظر البدع والنهي عنها، ص (٤٢).
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر مسند أحمد (١/ ٣٨)، البداية والنهاية (٧/ ٥٨).
(٥) انظر مناهج السنة (١/ ١١).
(٦) المرجع السابق.

لكنه أصر على بدعته حتى قتله هشام بن عبد الملك لبدعته، وقد زعم أهل الأهواء أن قتله كان سياسياً! وهذا ضرب من الحكم على القلوب والنوايا التي لا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه واتهام للنيات، والعدول عن الأمر البيّن المشهور الثابت عن الثقات إلى الظنون والأوهام والمشتبهات.

- ثم اعتزلت المعتزلة الأولى وعلى رأسهم واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، فتصدى لهم أئمة السُّنَّة أمثال: الحسن البصري، وأيوب السختياني، وابن عون، وثابت البناني، وابن سيرين، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس وأبي حنيفة، وابن المبارك، وهكذا كلما كثرت حشود البدعة تصدت لها جحافل السُّنَّة.

- ولما نبغت الرافضة قيّض الله لها أمثال: الشعبي، والشافعي، وعبد الله بن إدريس الأودي، وغيرهم.

- ولما برز رأس الجهمية الجهم بن صفوان، تصدى له سائر أئمة السلف: كالزهري، ومالك، وأبي حنيفة، ثم عبد الله بن المبارك، وأمثالهم.

- ثم لما نبغ بشر المريسي - رأس الجهمية في زمانه - تصدى له أمثال عثمان بن سعيد الدارمي، والشافعي، والكناني.

- ولما احتشدت حشود الأهواء زمن المأمون وبعده من الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم، وعلى رأسهم ابن أبي دؤاد، تصدى لهم إمام السُّنَّة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل، فكسرهم كسرة لم ينهضوا بعدها إلا متعثرين بحمد الله.

- ولما تجمعت فلول الجهمية المعتزلة في آخر القرن الثالث، وصالت صولتها، قيّض الله لها أبا الحسن الأشعري، وكان الخبير بعوارها، لأنه كان معتزليًا فهداه الله للسُّنَّة، فحشر المعتزلة في قمع السمسمة - كما قيل - وكسرهم، فانهزموا هزيمة منكرة.

- ولما نبغت نابغة الكلام وريثة الجهمية والمعتزلة، وبدأ أهل الكلام يخوضون في صفات الله تعالى والإيمان والقدر، تصدى لهم أئمة السلف في القرنين الرابع والخامس الهجريين: كالبربهاري، وابن خزيمة، وابن بطة، والهروي واللالكائي، وابن مندة، والملطي، والصابوني، والآجري وابن وضاح، والبغوي، وابن عبد البر، وأمثالهم.

- وفي القرن: السادس والسابع والثامن الهجرية، عمت البلوى بالبدع والأهواء والافتراق، وهيمنت الفرق في سائر البلاد الإسلامية، واستحكمت الصوفية ببدعها، وساد الكلام والفلسفة والباطنية والدجل، وتسلط الكفار على كثير من بلاد المسلمين في الشام وغيرها.

فقيّض الله أمثال: الشاطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه (كابن القيم

والذهبي وابن كثير وابن رجب) فتصدى شيخ الإسلام لجحافل البدع وعساكر الضلالة، وجاهد في كل ميدان بلسانه وقلمه ويده، فقد تصدى لأهل الكلام، والفلاسفة، والباطنية، والصوفية، والرافضة، واليهود، والنصارى، والصابئة.

كما كان مجاهداً بعلمه ولسانه وسيفه للكفار والتتار والنصارى الصليبيين والبغاة، وكان يشجع المسلمين على الجهاد، في كل ميدان، وله في ذلك إسهامات مشهورة مشهودة.

وكان ناصحاً لولاة المسلمين وأئمتهم، يذكرهم ويعظهم، ويحثهم على الجهاد ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر بحكمة وقوة، كما كان ناصحاً لعامة المسلمين وعلمائهم، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، هو وأتباعه يصدع بذلك، ولا يخاف في الله لومة لائم، حتى أبان الله به السُّنَّة، ونصر الله به راية السلف، وكشف الله به أهل البدع وعقائدهم ومناهجهم، وحتى أقام الحجة، وأبان المحجة، ونصر الملة، ولا تزال آثاره ومؤلفاته مرجعاً لكل صاحب سنة، وقذى في عين كل صاحب بدعة، وفيها فرقان بين الحق وأهله، وبين الباطل وأهله، رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

- وفي العصور المتأخرة: استحكمت البدع والشركيات، وانتشرت الطرق الصوفية والمقابرية والعادات الجاهلية حتى في جزيرة العرب. فتصدى لها ناصر السُّنَّة وقامع البدعة: الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وأتباعه فطهَّر الله بدعوته المباركة أرض جزيرة العرب، خاصة الحجاز ونجد وما حولها من البدع والشركيات والمقابرية والصوفية الضالة، كما نفع الله بدعوته سائر أقطار المسلمين، حيث اعتزت بها السُّنَّة وأنصارها، وانتصرت السلفية، واحتمت وآوت إلى ركن شديد، حيث قامت لها وعليها دولة نشرتها وحمتها بالسيف والقلم، وهي الدولة السعودية أعزها الله بالإسلام ونصر السُّنَّة وأهلها.

ولا نزال - بحمد الله - نرى ثمار هذه الدعوة في كل مكان، رغم تكالب جحافل البدعة، وما أجلبوه عليها بخيلهم ورجلهم: بالسب، والهمز، واللمز، وإعلان العداوة، وصد الناس بشتى الوسائل، والله غالب على أمره.

ولما نبغت نابغة (سب السلف) في القرن الماضي (الرابع عشر الهجري) على لسان الكوثرية، معلنة انتقاص بعض أئمة السلف، ورافعة راية الكلام والتجهم، واتهام السلف وأتباعهم، ورميهم بالألقاب المشينة والألفاظ المقذعة مثل: (الحشوية، والمشبهة، والحمقى، والجهلة، والأوباش، والرعاع) قيَّض الله لهم أمثال: المعلمي، والألباني، وبكر أبو زيد، وسائر مشايخنا حفظهم الله.

ـ ولما أخرجت البدع أعناقها في البلاد الطاهرة على يد أحد المنتسبين للعلوية وأتباعهم، تصدى لها طائفة من المشايخ وطلاب العلم وفقنا الله وإياهم، ولا يزال مشايخنا لهم جهود مشكورة في هذا المضمار، وفقهم الله وسدد خطاهم، والآن وقد بدأ (نباشة القبور) يثيرون المتشبهات ويشككون أبناء المسلمين بالمسلّمات، وينهشون علماء السلف، وينبُشون في كتبهم عن الزلات، ويطعنون في سلف الأمة ويبكون على أطلال الفرق والبدع، ويمجدون رؤوس الضلالة والأهواء، ويرددون مطاعن الزنادقة في خيار الأمة، وإنّا لمنتظرون ـ تحقيقاً لوعد الله بحفظ دينه ـ من يتصدى لهذه النابتة الخبيثة كفانا الله شرها. ولا حول ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومما ينبغي التنبه له، أن أهل الأهواء ـ قديماً وحديثاً ـ يضيقون ذرعاً بإنكار البدع والتصدي للمبتدعة، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعلون ذلك ـ حسب موازينهم التي تقوم على الأهواء ـ من الظلم والشتم والسب، والحجر، وكتم الحريات، والاستعداء ضد الخصوم، والتضييق على المخالفين.

ويتهمون السلف الذين ينهون عن البدع والآثام ويحذرون منها ومن أهلها: بالتكفير والتبديع والتفسيق ونحو ذلك، وكل ذلك من التلبيس والبهتان، فإن هذه أحكام شرعية يطلقها المجتهدون من العلماء الثقات على من يستحقها شرعاً، حسب اجتهادهم، وقد يخطئ الواحد منهم، لكن ليس ذلك من منهجهم.

ولذلك فإن أهل الأهواء يتهمون السلف بالسب والشتم واللعن ونحو ذلك من هذا المنطق، أعني أنهم يسمون إطلاق الأحكام الشرعية من الكفر والبدعة والفسق ونحوها على من يستحقها شرعاً: شتماً ولعناً وسبًا، وهذا هو منهج أعداء الرسل في كل زمان.

مع العلم أن السبَّ للكفر والشرك والبدع والأهواء والفسوق مشروع ومطلوب شرعاً بالضوابط الشرعية. وقد جاء ذلك في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالنبي ﷺ كما كان يأمر بالتوحيد، كان كذلك ينهى عن الشرك ويذم عبادة الأصنام والأوثان، وقد وصفه المشركون بأنه ﷺ حين ينهى عن الشرك (يسبُّ آلهتهم) وهو سبٌّ مشروع، ومن دعائم الدين الكبرى في كل زمان.

ونجد في توسم الأستاذ نبيل السمالوطي للشيخ لهذا السؤال تحديداً لأن الشيخ لم يكن من علماء السلطة، فكان لا يفتي إلا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، حتى لوخالف ذلك رأي حاكم أو غيره، وحقاً هم العلماء وأود أن أتكلم عن السلف في ذلك واضعاً نصب عيني العالم الرباني الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله.

obeikandl.com

السلف الصالح
أهل السُنَّة لا يحصرهم مذهب

زعموا أن مذهب أهل السُنَّة والجماعة، يحصر أتباعه في الحنابلة (أو الوهابية) كما يعيّرونهم، وهذا الكلام باطل لا أصل له، ويكذبه الواقع، فأهل السُنَّة والجماعة والسلف الصالح هم خيار الأمة، والطائفة المنصورة والفرقة الناجية في كل زمان، قبل ظهور الحنابلة وبعده، وفي كل مكان وفيهم حنابلة وأحناف وشافعية ومالكية، وهذه مذاهب فقهية كل أئمتها الأربعة من أئمة السُنَّة، وأتباعها منهم من سار على نهج السُنَّة والسلف، ومنهم من حاد عن ذلك.

وليس للحنابلة اختصاص في ذلك، وإن كان التفاوت حاصل في تبعية أتباع المذاهب الأربعة للسُنَّة والسلف، وموازين الشرع هي المحتكم في ذلك.

والسلف الصالح على منهج واحد في العقيدة في كل زمان ومكان، فأهل السُنَّة منهم المالكية والشافعية والأحناف كما أسلفت، وهم بحمد الله بين هؤلاء كثير وإن كانوا في الحنابلة أكثر؛ لأن الإمام أحمد كان آخر الأئمة الأربعة، وقد تميز بمواقفه المشهورة في نصر السُنَّة وأهلها، والوقوف بحزم وقوة ضد البدع وأهلها.

ومن أئمة أهل السُنَّة المنتسبين للمذهب المالكي:

الإمام مالك وتلاميذه: (كابن القاسم وسحنون وأشهب القيسي).

وعلماء المالكية الآخرون مثل: (أسد بن الفرات، وعبد الملك بن الماجشون، ويحيى بن يحيى الليثي، وإسحاق بن الفرات، وأصبغ بن الفرج، وابن وهب، وابن أبي زيد القيرواني، وابن أبي زمنين، وأبي القاسم خلف بن عبد الله المقري الأندلسي، والقاضي عبد الوهاب بن نصر، وابن عبد البر، وأبي عمرو الطلمنكي، وأبي بكر محمد بن موهب ـ شارح رسالة ابن أبي زيد ـ وأبي عمرو الداني، والقاضي إسماعيل بن إسحاق، والقاضي أبي بكر الأبهري، وعبد الله بن محمد القحطاني الأندلسي ـ صاحب النونية ـ ، ومحمد الأمين الشنقيطي، وابن غنام الأحسائي: ـ من المعاصرين للشيخ محمد بن عبد الوهاب).

obeikandl.com

ومن أئمة السُّنَّة المنتسبين للمذهب الشافعي:

الإمام الشافعي وهو من كبار أئمة السُّنَّة، والبويطي، والمزني، وابن حبان، وابن خزيمة، وابن خفيف، والحاكم، وابن سريج، وابن الصلاح، وابن النحاس حرملة بن يحيى، والأزهري ـ اللغوي ـ والصابوني، وابن أبي حاتم، وابن ثمامة، والبغوي، وابن كثير، والحافظ السلفي، والدارقطني، والحميري، وابن السني، وأبو الحسن الأشعري، وأبو العباس الأصم، والمزي، والساجي، والذهبي، والدارمي ـ عثمان بن سعيد ـ واللالكائي، ومحمد بن نصر المروزي، والمقريزي، والمنذري وأبو محمد الجويني.

وكبار أئمة الشافعية ينصرون مذاهب السلف الصالح، ويوصون بلزوم السُّنَّة، ويذمون البدع والأهواء وأهلها (وإن كان عند بعضهم شيء من الزلات أو موافقة أهل البدع في أمور) كالبيهقي، والخطابي، والجنيد، وأبي نعيم الأصبهاني، والعز بن عبد السلام، والنووي، والسيوطي، والمناوي، لكن مناهجهم في الجملة أقرب إلى السُّنَّة، على تفاوت بينهم.

وكذلك الأحناف:

أبو حنيفة ـ رحمة الله ـ كان على السُّنَّة في الجملة، وما خالف فيه أهل السُّنَّة في مسألة الإيمان وميله للإرجاء زلة معروفة ومردودة، عند السلف، لكنه لما اشتهر عنه الإمامة في الدين عرف له قدره... وكذلك أصحاب أبي حنيفة ـ الأوائل منهم ـ كانوا على السُّنَّة، كأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر، وإبراهيم بن طهمان، وحفصُ بن غياث القاضي.

ومن الحنفية الذين على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في الجملة:

أبو سليمان، موسى بن سليمان الجوزجاني ت ٢٠٠ هـ .

معلى بن منصور الرازي ت: ٢١١ هـ

شداد بن حكيم القاضي البلخي ت: ٢١٢ هـ

عبد الله بن داود ت: ٢١٣ هـ

هشام بن عبيد الله الرازي ت: ٢٢١ هـ

الليث بن مساور البلخي ت: ٢٢٦ هـ

ابن أبي العز الدمشقي الحنفي ت: ٧١٢ هـ

أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السهرندي ت: ١٠٣٤ هـ

أبو البركات خير الدين نعمان الألوسي ت: ١٢٥٢ هـ

obeikandl.com

محمود شكري بن عبد الله الألوسي
محمد صديق خان بن حسن البخاري القنوجي ت: ١٣٠٧ هـ
محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي ت: ١٣٢٦ هـ
محمد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ت: ١٣٨١ هـ

وبعض هؤلاء الأحناف قد يميلون إلى مذهب المرجئة في الإيمان، وعند بعضهم شيء من الزلات، ولكنهم على نهج السُّنَّة في سائر الأصول في الجملة على تفاوت بينهم.

obeikandl.com